محاضرات في تاريخ لغة العرب (١)

ـ ٣ ـ

٥ ـ الترادف

من الالفاظ ما يؤدي معنى واحداً كرجل وفرس وبغداد ومكة مثلا . ومنها ما يؤدي اكثر من معنى واحد على وجه الحقيقة مثل خال فانه موضوع لاخي الام والشامة المعروفة وللسحاب وللمتكبر ... الخ ومنها ما هو بالعكس معنى واحد يوضع للدلالة عليه اكثر من لفظ واحد . فانهم مثلا وضعوا : الحنطة والقمح والبر والفوم والثوم للحب المعروف ، ووضعوا للسيف خمسين اسماً ، وللأسد مئات واكثر منها للجمل .

وامثلة هذا الباب كثيرة . وقد أفرده بالتأليف جماعة منهم مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس . وضع فيه كتابا اسماه « الروض المسلوف ، في ماله اسمان الى الوف » وبعضهم افرد بالتأليف اسماء بعض المعاني . فالف ابن خالويه كتابا في اسماء الحية . والف الفيروزابادي المذكور كتابا في اسماء العسل . وافرد السيوطي كتابا في اسماء الاسد

ومن الناس من ينكر المترادف في اللغة العربية ويزعم أن كل ما يظن انه من المترادف انما هو من قبيل المتغايرات التي تختلف باختلاف الصفات . وممن ذهب الى هذا أبوالحسين احمد ابن فارس ، قال في كتابه فقه اللغة المشهور بالصاحبي : « يسمي الشيء الواحد

---

(١) تتمة دروس الاستاذ طه الراوي عضو المجمع العلمي وكاتب سر مجلس الاعيان في بغداد . راجع ما نشر في الجزء الرابع من هذه السنة ص ٢١٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بالاسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام ، والذي نقوله في هذا ان الاسم واحد ، وهو السيف ، وما بعده من الالقاب صفات . ومذهبنا أن كل صفة منها معناها غير معنى الاخرى » اه

وهو مذهب ثعلب وجماعة من محققي اللغويين . وقد حكى بعضهم أن جماعة من أهل الفضل فيهم ابن خالويه وابو علي الفارسي حضروا في مجلس سيف الدولة في حلب فقال ابن خالويه اني احفظ للسيف خمسين اسما . فتبسم ابو علي الفارسي وقال : ما احفظ له الا اسما واحدا وهو السيف . قال ابن خالويه : فاين المهند ، والصارم ، وكذا ، وكذا . فقال ابو علي هذه صفات ، وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة .

ومن الواضح أن الترادف خلاف الاصل ، لانه طريق الى الاسراف في الالفاظ . وهو خلاف المعقول . لان الالفاظ محصورة والمعاني غير محصورة . ان الالفاظ مركبة من الحروف الهجائيـة على اوضاع معينة . فلا بد ان نقف عند رقم معين . أما المعاني فهي بنات المحسوس ونتاج المعقول فلا يعقل أن نقف عند حد .

ومن ثم ينبغي ان يكون الاصل الاقتصاد في الالفاظ بقدر الطاقة ، وعلى هذا ينبغي الا نقول بالترادف الا عند مايتعذر الحمل على غيره . والحق ان معظم الالفاظ التي يقال في بادئ الرأي انهـا متواطئة على معنى واحد هي في الواقع ليست كذلك . فاذا انت انعمت النظر فيها تبين لك ان كل لفظ منها يدل على معنى يختلف — ولو قليلا — عما يدل عليـه اللفظ الآخر . فاذا اخذنا لفظي (الشك) و (الريب) مثلا نجـد الجمهور يفسرون احدهما بالآخر فيقولون في تفسير لا ريب فيه ؛ لا شك فيه . مع أن بين معنيهما اختلافا بينا . فالشك يدل على مجرد التردد بين امرين لا يترجح احدهما على الاخر . مع ان الريب يدل على قلق واضطراب في النفس متولدين من التردد الذي يدل عليه الشك . فالريب شك مصحوب بقلق واضطراب . ومن ثم يقال : هو في شك مريب أي مقلق مزعج ، ولا يقال هو في ريب مشكك . وعلى هـذا لا بد أن يسبق الريب بالشك ، ولا عكس . ومثل ذلك الظن والوهم . فان الفكر اذا تردد بين أمرين وكان احدهما أرجح من الاخر فالجانب الراجح ظن والمرجوح وهم (بسكون الهاء . اما المفتوح الهاء فهو الخطأ) .

وكذلك اذا أخذنا (الشرق) و (الغصص) و (الشجى) مثلا نجد الاول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يدل على انسداد مجرى النفس بالماء وكل مائع . والثاني يدل على انسداده بالطعام . والثالث بالعظم وكل صلب . وبعض اللغويين يفسر بعض هذه الالفاظ ببعض .

ومثل هذا جلس وقعد يظن انهما مترادفان ، مع أن اللفظة الاولى لا تطلق على الهيئة المخصوصة الا اذا كانت عقب الاضطجاع أو الاستلقاء ونحوهما ، والثانية إنما تطلق على تلك الهيئة اذا كانت عقب الوقوف ونحوه فيقال كان مضطجعاً فجلس . وكان واقفاً فقعد . فالجلوس يكون بعد حالة هي دونه ، والقعود بعد حالة هي فوقه . وأصل مادة (ج ل س) تدل على الارتفاع ، ومنه قيل للذي ينزل نجداً جالس . ومادة (ق ع د) تدل على الانخفاض . ومنه قاعدة البناء لاساسه .

وللترادف اسباب كثيرة اهمها : اختلاف لغات القبائل وتبلور المجاز حتى يصبح حقيقة وتنامي الوصفية . الى غير ذلك مما يطول شرحه .

= للبحث صلة =

طه الراوي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net